IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
JORNAL OF LANGUAGE STUDIES
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: http://jls.tu.edu.iq

Reasons of Syntactical Disagreement: An Introspective Study

PhD. Basim Salih Hussein*
College of Education for Women, Tikrit University, Tikrit, Iraq
E-Mail: basimsalih68@gmail.com

Keywords:

-Controversial Disagreement

-Syntax schools

- Arabic syntax

Article Info

Article history:

Received: 30-8-2020

Accepted: 12-9-2020

Available online

Abstract

This paper examines the controversial disagreement among schools of Arabic syntax; according to which, the syntactic components and rules classified and investigated thoroughly. The research tries to answer the following questions: What is meant by controversial disagreement on syntax? And what are the reasons behind it? What is the true nature of syntax schools? What are their types? What are the negative and positive impacts of that controversial disagreement? The paper traces back the controversial disagreement on Arabic syntax and defines its advantages. There are several previous studies dealing with this question, however; this research paper examines the linguistic and terminological aspects of that disagreement among schools of Basrah, Kufa, Baghdad, Andalusia, and Egypt. Despite their disagreement, the syntax schools have one aim: serving the syntax and keeping it flawless. Through this paper, it is attempted to present all these aspects. It concludes and confirms that disagreement on syntax among grammarians is a normal issue, which confirms the fact that syntax is flawlessness. Thus, one can say that having different viewpoints does not necessarily harm syntax; however, it makes it more solid and flawless. Furthermore, the disagreement among the syntax schools has positive and negative impacts in enriching Arabic syntax.

* **Corresponding Author**: Basim Salih Hussein (PhD) , **E-Mail:** basimsalih68@gmail.com
Tel: +96407701859058 , **Affiliation**: Tikrit University -**Iraq**

أسباب الخلاف النحوي

– دراسة استقرائية –

ا.م.د. باسم صالح حسين

كلية التربية للبنات – جامعة تكريت

الكلمات الدالة:-

الاختلاف

المدارس النحوية

النحو العربي

معلومات البحث

تاريخ البحث:

الاستلام: ٣٠-٨-٢٠٢٠

القبول: ١٢-٩-٢٠٢٠

التوفر على النت

الخلاصة: سَعَتِ الدراسة إلى الكشف عن أسباب الخلاف النحوي، وعلى هذا الأساس جرى تصنيف المادة النحوية، وبحث أبرز تلك المواقع موقعًا موقعًا، وختمت ببيان قيمة ظاهرة الخلاف الفكرية والجدل فيه وأثر ذلك في إثراء النحو العربي. وقد اقتضت طبيعة البحث بعد الوقوف على أفكاره الرئيسة، تقسيمه على ثلاثة مباحث، تسبقها مقدمة، وتقفوها خاتمة مذيلة بقائمة المصادر والمراجع، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، ودوافعه، ومشكلته، وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة عنه.

وأما المباحث فعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: المقصود بالخلاف لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أسباب الخلاف النحوي ودوافعه.

المبحث الثالث: قيمة الخلاف النحوي.

وقد خلص البحث إلى جملةٍ من النتائج والتوصيات، وهي أبرز ما توصل إليه كما هو ثابت في خاتمة البحث.

الفهارس: وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

وأسأل الله تعالى أن يجعله علمًا يُنتَفَعُ به.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالَمين، حمدًا يَليق بجلاله وكماله في الذات والصفات، القائل في كتابه: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)[1]،

والصلاة والسلام على أشرف الخَلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهديه وسار على نهجه واتبع سُنته إلى يوم الدِّين، وبعد:

فإنَّ ملامح الخلاف بدأت تتسع عند علماء النحو في الطبقة الثانية من علماء البصرة، فقد كان علماء هذه الطبقة أوفر حظًّا في هذا الشأن ممَّن سبقهم من علماء الطبقة الأولى، إذ ازدادت المباحث لديهم، ونشأت حركة النقاش بينهم، وأضافوا كثيرًا من القواعد، ولم يقتصر الخلاف بين النحاة على انتقاد بعضهم بعضًا، وإنَّما توسع ليشمل الشعراء والقُرَّاء، ولم يتوقفوا عند معاصريهم وإنما امتد، ليشمل شعراء العصر الجاهلي والمخضرمين، ومتقدمي القُرَّاء، وقد وصل الأمر إلى أنَّ النحاة فرضوا أنفسهم على معاصريهم من الشُّعراء، وبعد أن كان الخلاف هادئًا في عهد الخليل بين أحمد وأبي جعفر الرؤاسي، اشتدَّ بين الكسائي وسيبويه.

وأول مظهر من مظاهر الخلاف بين المدرستين: تمثل في المناظرة التي جرت بين سيبويه والكسائي بحضرة يحيى بن خالد البرمكي وكانت هذه المناظرة في المسألة الزنبورية[٢]، ومناظرة الكسائي مع الأصمعي بحضرة الرشيد في رفع (رئمان) ونصبها وجرها من قول أفنون التغلبي[٣].

وهذه المناظرات لا تَعدو أن تكون مظهرًا من مظاهر التنافس بين العلماء؛ للوصول إلى الرزق، أو بلوغ المنزلة عند السلطان، فالخلاف بدأ مبكرًا، لكنه لم يتخذ شكل العصبية المذهبية إلَّا عند المتأخرين.

ومن هنا ظهر من العلماء قدماء ومحدثين مَن ينتقد النحو العربي ويدعو إلى إلغاء نظرية العامل، التي لا تُعَدُّ الأساس الذي قام عليه النحو، وينتقد كثرة الأبواب النحوية والتقديرات والتأويلات والخلافات. ومنهم مَن رأى أن الخلافات أدَّت إلى تعقيد النحو وإلى صعوبة تعلُّمه، ودعا إلى حذف جلّ الخلافات منه؛ لانعدام الفائدة المرجوَّة منها، ولذلك فإنهم على الرغم من محاولاتهم دراسة الجملة العربية على ضوء الاستعمال أحيانًا، تبعًا للمنهج الوصفي، الذي يرمون فيه البعد عن التعقيد والمبالغة إلا أنَّ هذا لا يمنع من أن تغلب على بعضهم النزعة المنطقية القائمة على فكرة (العامل) بشكليه اللفظي والمعنوي، فنراهم يذهبون إلى التأويل والتعليل، وتقدير

العوامل إن لم تكن ظاهرة، ولعل هذا يفصـــح عن أنَّ بعض النحويين وقف حائرًا يتأرجح بين التثبُّت بفكرة (العامل) التي ورثها عن بعض أهل النحو، ومحاولته التخلص منها والأخذ بالمنهج الوصفي في تعليل بعض الظاهر اللغوية(٤).

وقد كان لهذا الاختلاف أســـبابه، منها: طبيعة اللغة العربية، والاختلاف المنهجي، والتنافس بين العلماء، فضلاً عن أسباب اخرى طبيعية وسياسية واقتصادية.

وانطلاقًا مما سبق عرضه، فقد ظهرت لديَّ فكرة هذا البحث.

المشكلة البحثية:

يمكن إيجازها اختصارًا في السؤال الرئيس الآتي:

(ما أسباب الخلاف النحوي؟).

أسئلة البحث:

انبثق عن السؤال الرئيس سالف الذِّكر عِدَّة أسئلة فرعية، وهي:

١. ما المقصود بالخلاف لغة واصطلاحًا؟
٢. ما أسباب الخلاف النحوي؟
٣. ما القيمة الفكرية للخلاف النحوي؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع المثار في الأمور الآتية:

١. يشير موضوع البحث إلى أهمية معرفة ما للخلافات النحوية من أثرٍ على اللغة العربية في التراكيب أو المعاني أو توجيه الألفاظ، وما لذلك من أثر في إثراء اللغة العربية وإثراء تراكيبها، واثبات أنَّها لغة تتسع لكثيرٍ من الآراء وتحتمل الرأي والرأي الآخر.
٢. ثمار الخلافات النحوية وأثرها على اللغة. وآثار هذه الخلافات الواضحة على ساحة الدرس النحوي، وهما المرادان من وراء هذا البحث. إذ يوضح البحث أهمية الخلاف ونتائجه البناءة، التي ترد على القائلين بإلغاء النحو وعلى الذين نادوا بالنحو الوظيفي بحجة أن الخلافات النحوية ليس فيها فائدة بل تعمل على بلبلة الدارس، وأنَّ النحو ليس ذا فائدة في هذه الأيام.

أهداف البحث ودوافعه:

١. بيان أسباب الخلاف النحوي.

٢. إظهار فائدة الخلاف النحوي للغة العربية.

٣. إبراز القيمة الفكرية لظاهرة الخلاف والجدل فيه.

٤. بيان أن القطع في المسألة الخلافية برأي واحد غير مستحبٍ، ما دام هناك رأي آخر يستند إلى أدلةٍ معقولة.

منهج البحث وإجراءاته:

أولًا- المنهج:

لَمَّا كان لكلِّ دراسةٍ منهج تحتمه طبيعة الموضوع المبحوث كان منهج هذه الدراسة منهجًا تاريخيًا وصفيًا تحليلًا استقرائيًا، إذ إنَّ المنهج الوصفي ظهر في تناول أسباب الخلاف، وتوضيح آراء عديد من القدماء والمحدثين فيه. والمنهج التحليلي ظهر في تناول قيمة الخلاف، بتتبع المسائل التي ورد فيها الخلاف، وتوضيح أقسامها، وتحليلها حسب ما جاء في البحث. والمنهج التاريخي الذي يهتم بتتبع الظاهرة عبر مدة زمنية محددة.

ثانيا- الإجراءات:

١. ترتيب المصادر في الهوامش حسب وفيات مؤلفيها، ويُقدَم اسم الكتاب على اسم المؤلف ثم الجزء والصفحة.

٢. ترتيب المصادر والمراجع في قائمة مصادر البحث ترتيبًا ألفبائيًا.

٣. ذِكر وفيات الأعلام المشهورين بين قوسي تنصيص فقط وغير المشهورين يُترجَم لهم باختصار في الهامش.

٤. تخريج الآيات القرآنية في المتن وتُكتَب بخط المصحف (مصحف المدينة)، ويُعلَّق على المواضع التي تحتاج إلى تعليقات.

مصطلحات البحث:

يسهم البحث في بيان مفهوم الخلاف ، فالخلاف معناه في اللُّغة: المضادة.

واصـــطلاحًا: هو أن يأخذ كل واحدٍ طريقًا غير طريق الآخر في حاله وقوله، ويعبر بالخلاف عمومًا لإرادة المسائل المختلف فيها على وجوهها المتعددة.

الدراسات السابقة:

اعتمدت في تناول عناصـر البحث على ما لاح لي من مصـنفاتٍ نحويَّة، صُـنِّفت في الخلاف النحوي، يتضح ذلك في ما أوردته في ثَبت المصادر والمراجع، غير أنَّ المصنَّف الوحيد الذي يُعَدُّ من الدراسات السابقة التي تناولت قيمة الخلاف بصورةٍ مباشرة هو «ثمرة الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين» للدكتور محمد حسنين صبرة، وهو كتيِّب صغير اتَّبع فيه المؤلِف المنهج الوصفي في عرض أفكاره وتوضيحها، أفدت منه، حسب مقتضيات البحث.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمةٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية.

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأسئلته، وأهميته ودوافعه، ومنهجه، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: المقصود بالخلاف لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أسباب الخلاف النحوي ودوافعه.

المبحث الثالث: قيمة الخلاف النحوي.

الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

سـائلًا المولى تبارك وتعالى التوفيق والسـداد، إنه ولي ذلك ومولاه. وصـلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

المقصود بالخلاف لغةً واصطلاحًا

لَمَّا كان لكلِّ دراســةٍ مصــطلحات تُقنن طبيعة الموضــوع المبحوث وتحدده كانت أبرز مصطلحات هذه الدراسة تدور حول «الخلاف في اللُّغة والاصطلاح»، وذلك على النحو الآتي:

<u>أولًا– مفهوم الخلاف وتطوره:</u>

الخلاف في اللغة والاصطلاح:

أ- الخلاف لُغة:

معناه: المخالفة[٥]، والمضادة.

قال ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصـــول ثلاثة، أحدها: أن يجيء شـــيء بعد شـــيء ويقوم مقامه. الثاني: خلاف قُدَّام. الثالث: التغيير. والأصـــل الأول هو المقصـــود هنا في قولهم: اختلف الناس في كذا، والناس خلفه؛ أي: فمختلفون، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يُنَحِّي قول صاحبه ويقيم نفسه مقام الذي نحاه. وهو معنى قولهم: الخلاف: ضدّ الموافقة"[٦].

وعلى هذا يمكن القول: إنَّ "الخلاف والاختلاف" يراد بهما مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف.

ب- الخلاف في الاصطلاح:

في الواقع لم يخرج العلماء الخلاف في الاصطلاح عن المعنى اللُّغوي سالف الذِّكر، إلَّا أنه خصص في معنى التضاد والتعارض.

ومن هنا يمكن القول: إنَّ الخلاف "هو أن يأخذ كل واحدٍ طريقًا غير طريق الآخر في حاله وقوله"[٧]، "ويُعبر بالخلاف عمومًا لإرادة المسائل المختلف فيها على وجوهها المتعددة"[٨].

المبحث الثاني

أسباب الخلاف النحوي ودوافعه

إنَّ الناظر للاختلاف بين الناس عمومًا والمسلمين وأهل اللُّغة والتفسير خصوصًا، يجد أنَّ هذا الاختلاف ضـــرورة لا بدَّ منها، وهذه الضـــرورة تعود على التباين بين الناس في المدارك والعقول، والنظر إلى النصـــوص وطبيعة اللغة. لذا كان لا بد من الاختلاف في فَهم الأحكام واستنباط المعاني والعلل وغيرها، وهذا الاختلاف يرجع لأسبابٍ ودواع عديدة منها طبيعة الدِّين، واللُّغة، وطبيعة الكون والحياة السياسية، والأهواء الشخصية ... إلخ.

ومن هنا، فقد ظهرت عِدَّة عوامل أذكت روح الخلاف وهيأته بين قطبي الخلاف البصـرة والكوفة، وهذه العوامل منها ما هو طبيعي، يرجع إلى الموقع الجغرافي لكلٍّ منهما، ومنها ما هو

سياسي، ومنها ما هو راجع إلى أسلوب التفكير وطريقته في الدرس النحوي، ومنها ما يرجع إلى اللغة العربية نفسها وطريقة البحث العلمي فيها، وذلك على النسق الآتي:

ولابدَّ من الذكر أنَّ أسباب ظهور الخلاف بين النحويين قد تعددت، على الرغم من أنَّهم مطالبون بالدليل والبرهان لإثبات صحة ما يذهبون إليه من حُكم لقاعدة نحوية أو تحليل أو تفسير لها، ولعل هذا التعدد في الأسباب والدوافع هو الذي دفع بي إلى اختيار أبرزها، وعلى النحو الآتي:

أ- طبيعة البشر:

فقد خلقهم الله مختلفين، فكل إنسانٍ له شخصيته المستقلة، وتفكيره المتميز، وميوله الخاصة، ومن العبث صبّ الناس في قالبٍ واحد، ومحو كل اختلافٍ بينهم، فهذا أمر مخالف للفطرة التي فطر الله عليها الناس، فقد خلق الله البشر متفاوتين في الإدراك والاستيعاب بما فضل الله به بعضهم على بعضٍ من الفَهم والعِلم والحفظ وسعة الاطلاع.

ب- الأهواء الشخصية:

ويُقصد بها ما كان بين الشعراء والنحاة من خلافٍ، بُني عليه خلاف بين النحاة أنفسهم أيضاً، تلك الخلافات التي نجد لها صدى عاليًا وصورًا عديدة في كُتب الأدب والنحو على حدٍّ سواء، وقد كانت تلك الخلافات سببًا من أسباب الخلاف النحوي.

فالشاعر قد يأتي بالخطأ في الإعراب، فيرفع المنصوب أو ينصب المرفوع ويجر المنصوب أو ينصب المجرور ... إلخ، لا عن سهوٍ أو جهلٍ أو ضرورة ؛ وذلك نكاية في نحوي يتربص به أو إغاظة للغوي يترصده، وربما كان هذا مقبولًا! ولكن العجب العجاب الذي لا يستطيع الإنسان تقبله أن يأتي النحويون بعد ذلك فيخرجون قول الشاعر المخطئ، فالمسألة إذن استعراض للقوة العقلية، كل ذلك حمَّل الإعراب أكثر مما يحتمل وعدَّد وجوهه في مجال لا حاجة له به إلى التعدُّد، وشحنه بروايات تكد الذهن وتتعب العقل ، وكان هو في غنى عنها[٩].

ت- طبيعة الدين:

أراد المولى – سبحانه وتعالى – أن يكون في أحكامه المنصوص عليها والمسكوت عنها، وأن يكون في المنصوص عليها: المحكمات والمتشابهات، والقطعيات والظنيات، والصريح والمؤول، لتعمل العقول في الاجتهاد والاستنباط، فيما يقبل الاجتهاد.

ولو شاء الله – عز وجل – لأنزل كتابه كله نصوصًا محكمة قطعية الدلالة، لا تختلف فيها الأفهام، ولا تتعدد التفسيرات. ولكنه لم يفعل ذلك؛ لتتفق طبيعة الدِّين مع طبيعة اللُّغة، وطبيعة الناس، وتباينهم في الفَهم والاستنباط، بحسب ضروريات الزمن(١٠).

ث- التنافس العلمي لإثبات الذات:

هذا أمر يدخل في فطرة الناس ، فكل انسان يجد في ذاته السعي لإيجاد مكانة لنفسة ،والقدم لها ، بغض النظر عن أن كان ذلك في مدرسة واحدة او في مدرسته ، وهذا الأمر اخذ حيزه في ظل الخلفاء العباسيين ، الذين لهم الدور الاكبر في تفضيل النحاة بعضهم على بعض ، وتقريبهم منهم ، ولاشك في أن المناظرات قد اخذت دورها آنذاك وبخاصة المناظرات بين الكسائي وسيبويه ، وبين الكسائي و الأعصمي . (١١)

وتتمثل هذه الخلافات المذهبية أصدق تمثيل فيما كَتبه ابن مضاء القرطبي (المتوفى٥٩٢هـ) في ردِّه على النحاة، ذلك أن ابن مضاءَ كان قاضي الجماعة في دولة الموحدين(١٢). ودولة الموحدين هذه تمثِّل المذهب الظاهري في الفقه، الذي يتلخص مبدؤه في الأخذ بظاهر نصوص الكتاب والسُّنَّة وعدم التفريع بما يؤدي إليه من تأويلٍ واستنتاج(١٣).

هذا ابن مضاء في الفقه، فماذا فعل ابن مضاء في النحو العربي؟ معلوم أن ابن مضاء كان قاضي القضاة في عهد يعقوب بن يوسف (٥٨٠ – ٥٩٥ هـ) وقد رأى تعصبه للظاهرية ضدّ أصحاب المذاهب والفروع؛ لذلك فإنه جريًا على سُنن الدولة أو اتباعاً للمذهب الشائع في عصره ثار على التفريع والتأويل في النحو، وحاول تطبيق المذهب الظاهري على النحو، فقد بدأ برفض نظرية العامل، والتي جعلت النحاة يكثرون من التقدير، وهو تقدير يؤدي إلى عدم التمسُّك بحرفية آي الذِّكر الحكيم تلك الحرفية التي كان يعتد بها أصحاب مذهب الظاهر، وأيضًا فإنه اقترض

منهم ما يذهبون إليه من نفي العلل والقياس في الفقه ونادى بتعميم ذلك في النحو، حتى نتخلص من كل ما يعوق جريانه وانطلاقه في العقول والأفهام(١٤).

وجدير بالذِّكر أن ابن مضاء هذا لم يقم بهدم نظرية العامل في الإعراب حبًّا في اللغة أو إخلاصًا للنحو، ولكنه كان يريد من ذلك التودد إلى كبار ساسة الدولة، فما داموا هم مناهضين للفقه المشرقي، فيهدم هو أيضًا الأداة التي تعين على فَهم هذا الفقه، وليهدم كل ما كان على نسق هذا الفقه ومنهجه(١٥).

إذًا فهذا خلاف يرجع إلى أمورٍ مذهبية (تعصُّب مذهبي) وليس إخلاصًا للغة أو النحو العربي.

ج- طبيعة اللُّغة:

إنَّ اللغة العربية بطبيعتها جاءت موافقة لنصوص القرآن الكريم والسنَّة النبوية في المفردات والتراكيب، ففيها اللفظ المشترك الذي يحتمل أكثر من معنى، وفيها ما يحتمل الحقيقة والمجاز، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، ولما كانت لغتنا العربية هي التي تشرفت بكونها لغة القرآن، وقد أخذ شرفها من شرف ما تتعلق به، فقد عني بها علماء العربية رغبة منهم في فهم كتاب الله المعجز.

ح- الاختلاف في فَهم الشواهد:

الشاهد في اصطلاح النحاة هو ذلك الجزء الذي يُذكر لصحة القاعدة وإيضاحها، ويمكننا القول: إن الشواهد هي تلك الأقوال من القراءات القرآنية أو الشعر أو النثر يحتج بها للقاعدة النحوية اطرادًا أو شذوذًا. وذلك يعني أن الاستشهاد هو الإخبار بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة من قراءة أو شعر أو نثر(١٦).

وقد مثَّلت الشواهد أهمية كبرى للغويين – خاصة بعد أن فرغ الرواة الثقات من جمع مادة اللغة من الأعراب – حين كانت حجة لتفضيل رأي على آخر أو مذهب على مذهبٍ، أو إثبات صحة أسلوب ونحسب أن مؤلفاتهم تشهد بذلك. أما النحاة فقد كان اهتمامهم بالشواهد عظيمًا، فقد عكفوا على ما جمعه اللغويون من نصوصٍ يلاحظون ويحللون ويستنبطون ما اطمأنوا إليه

من قواعد، فكانت النصـــوص هي التي تعين على فَهم ما أشـــكل من اللغة، ومن هنا كانت هي الشاهد على إثبات صحة القاعدة أو الأسلوب أو التركيب، وهذا يُمثِّل أهمية الشاهد في الدراسات النحوية(١٧).

ونحسب أن كتاب سيبويه يؤكد ما ذهبنا إليه، فقد بناه على النصوص التي سمعها من العرب، وعلى ما ثبت عنده من أشـــعارٍ ونعتقد أن ســـيبويه يتحرك بحرية أكثر من اللغوي بين النصوص فيجري عليها ملاحظاته ويحللها ويقارن بينها حتى تتضح الصورة، وهو في كل ذلك يلتزم بالمسموع حرصًا منه على احترام النَّصّ، ثم يستخلص القواعد، فيصنف ما أطرد وما شذَّ في لُغة العرب(١٨).

خ- العامل السياسي والعصبية الإقليمية:

وهو دخول السياسة في الخلافات الفرعية، لتضفي عليها منطق القوة حتى يكون دليلًا آخر على صحة القول. وخير مثال لذلك ما حدث أيام الرشيد بين سيبويه والكسائي ومناصرة الكسائي رغم خطئه في المسألة الزنبورية، وعلى الرغم من صحة ما ذهب إليه سيبويه من رأي، وكانت هذه المناظرة مؤامرة من الكسائي ومجموعة من الأعراب الذين اتفق معهم على مناصرته ضد سيبويه، مما كان سببًا من أسباب هلاك سيبويه.

ثم إنَّ الخلاف بين وجهتي النظر النحوية لم يكن للسياسة ولا العصبية تأثير مباشر فيه، وإنما كان التكتل لكلِّ فريقٍ استجابة للعصبية ليس غير. وأن التعصب الذي نشأ واشتد بين المصرين كان وليد السياسة، والسياسة هي التي تعهدته حتى أشعلت ناره، وبعد الهدوء السياسي تحول اتجاه البلدين إلى عصبية للبلد(١٩)، لذلك فإن المدافعة عن أسباب العيش ثم العصبية للبلد لا للســياســة هما اللذان لوَّنا الخلاف النحوي بشـــيءٍ من العنف، ولم يوجداه، وعلى ضـــوء ذلك ظهرت العصبية واضحة في المناظرات التي جرت بين البلدين، وفي أشعار كل من البلدين في الآخر، ومن هذه الأشعار ما قاله البصريون في حقِّ الكوفيين، ومنها ما قاله الكوفيون في حقِّ البصريين.

ومن هذه العصـــبية أيضًـــا: التعصـــب للأعلام النحوية ومن ذلك تعصـــب الفراء ضـــد سيبويه، فقد ذكر السيوطي أن الفراء "كان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه"(٢٠).

د- الأسلوب والطريقة:

إنَّ أسلوب ومنهج كل مدرسةٍ في السماع والقياس والتعليل، كان سببًا من أسباب الخلاف بينهما، فمنهج البصـــريين متأثر إلى حد كبير بمنهج الفلاســـفة والمتكلمين ، أما منهج الكوفيين فمنهج متأثر بمنهج القراء، فضلا عن أنَّ المنهج البصري يقوم على ضبط اللغة وتقييدها، ووضع نظام دقيق لها، أما المنهج الكوفي فكان أكثر تساهلاً وتسامحاً، وهذا ما جعل البصريين متشددين في سماعهم ودفعهم إلى الإكثار في التقدير والتأويل، أما الكوفيين فيقبلون الشواهد الغُفْل.

ذ- طبيعة علم النحو:

إنَّ عِلم النحو "علم اجتهادي – إن صـــحَّ الاصـــطلاح – وللنحوي فيه الحق أن يرتجل كما يقول ابن جني: من المذاهب ما يدعو إليه القياس، ما لم يخالف نصًّا"(٢١).

ومن هنا كان النحوي يجتهد بقدر ما يملك من حسٍّ لغوي، ونفاذ ذهني، يفهم بهما العبارة العربية فهمًا قد يختلف عن فهم غيره(٢٢)، لما فيه من جوانبٍ فكرية فلسفية تتيح مجالًا للاجتهاد. ومعنى هذا أن القدرات التي يمتلكها النحوي تعينُه على النظر في العبارة؛ فيتأتَّى له بذلك فَهم مُعيَّن، يختلف عن فَهم غيره.

وبذلك فإن اختلاف القدرات لدى النحاة كانت ســببًا في الخلاف فضـــلا عن طبيعة علم النحو التي تتيح للنحوي فرصة للاجتهاد؛ ليرى في مسألةٍ ما رأيًا لا يراه غيره.

المبحث الثالث

قيمة الخلاف النحوي

من خلال دراســـتي لمســـائل الخلاف النحوية بين البصـــريين والكوفيين وجدت أن هذه الخلافات لا تخلو من فائدةٍ؛ ولذا جاء هذا البحث محاولة لتوضـــيح أهمية الخلاف النحوي بين المدرستين، وتوضيح ما أضافه هذا الخلاف للدارسين المتخصصين، من جهةٍ، ولأبناء العربية عامة من جهةٍ أخرى.

فكان للخلاف بين النحاة فوائد عديدة تنوعت واختلفت بحسب بيئة الخلاف نفسها، أما الثمار فكان منها المفيد ذو الأهمية للنحو ولدراسة في آنٍ واحد، ومنها ما لم يفد، وكانت هذه الثمار بنوعيها ناتجة عن الخلاف في المسائل التي تتعلَّق بالتراكيب.

أما الآثار، فتنقسم على آثار إيجابية، وأخرى سلبية على الدرس النحوي، والآثار بنوعيها كثيرة، وإن كانت الحسنة أكثر، وذلك لطول زمن الخلاف بين البصريين والكوفيين، مما جعله يشمل جُل أبواب النحو العربي ومسائله، الأمر الذي ترتب عليه كثرة الآثار، سواء ظهرت هذه الآثار في عهد البصريين والكوفيين أم بعدهما، فكان من الآثار الإيجابية للخلاف في الدرس النحوي ما يلي:

أ. ظهور المجالس اللُّغوية:

تُعدُّ المجالس اللغوية من أبرز الآثار والنتائج التي خلَّفها الخلاف بين البصريين والكوفيين، وتتسم هذه المجالس بالهدوء، والمحاورات فيها أقرب إلى الحقِّ ؛ لأنها بعيدة عن مجالس الأمراء والسلاطين، بخلاف المناظرات التي تشتد فيها حِدَّة التعصُّب. وقد نتج عن هذه المجالس ثروة لُغوية ونحوية كبيرة، لِمَا كان يثار فيها من مسائل توضح وجهة نظر كل فريقٍ فيما دقَّ من مسائل نحوية، بنوعٍ من العمق والتفكير الحرّ الموضوعي، دون تعصُّب أو حِدَّة.

ومن أجل هذا اهتم كثير من الأدباء بجمع هذه المجالس وتدوينها حتى ظهرت كُتب ومؤلفات فيها، وأشهرها: (مجالس ثعلب – مجالس ابن قتيبة ... وغيرهما الكثير).

ب. ظهور المناظرات واللقاءات النحوية:

كانت هذه المناظرات سمة بارزة بين أعلام البصرة والكوفة، وكان معظمها مقره عاصمة الخلافة بغداد، إذ إنها كانت وجهة العلماء والأدباء وغيرهم ممَّن يتطلعون إلى الشهرة والمال والحظوة لدى الخلفاء والأمراء وأصحاب السلطان، وهذه المناظرات دونتها كُتب التراجم والطبقات، وسأكتفي بتوضيح عدد منها؛ لأن المقام يطول بسردها وليس هنا محل ذلك، وكان من أشهر المناظرات واللقاءات النحوية بين المدرستين ما يأتي: (مناظرة الكسائي وسيبويه – مناظرة الكسائي والأصمعي – مناظرة الكسائي واليزيدي ... وغيرها الكثير).

ت. ظهور المدرسة البغدادية وانتشار ظاهرة الانتخاب والانتقاء:

وقد ظهر هذا الاتجاه على يدِّ المدرسة البغدادية كما أوضحته سلفًا في الصفحات السابقة، إذ كان موقفها من الخلاف موقف الترجيح والانتخاب من الآراء والخروج برأي مستقل،

إذ تدرس رأي البصـــريين والكوفيين وترجح بينهما، أو توفِّق بينهما من دون مفاضـــلة، أو تخرج برأي جديد يُستدرك عليهما، من دون التعصُّب لأحدهما على الآخر.

ث. تنوُّع مناهج التأليف وتيسير النحو:

عندما أُولع النحاة بالخلافات وكثرت الآراء والعلل والتقديرات لكلِّ مســـألةٍ من أبواب النحو، أصـــبح النحو متشـــعبًا ومحاطًا بســـياجٍ من الخلافات، وهذا الأمر ضـــيق الطريق على المبتدئين، وصـعَّب عليهم إدراك هذا الفنّ كما ينبغي، حتى أشـار شـيخ النحويين الخليل بن احمد الفراهيدي إلى هذه الصعوبة قائلًا: "لا يصلُ أحد من عِلم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلَّم ما لا يحتاج إليه".[٢٣]

وأول مَن قام بهذا العمل في تيسير النحو الأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـــ) فقد أَلَّف كتابًا سماه «الأوسط» الذي اختصر فيه كتابه المسمى بـــ «الأوسط في النحو»، وتبعه من بعده جمع غفير من العلماء الأجلاء.

وأخيرًا أقول: إن هذا البحث فتح أمامي أفاقًا واســـعة للبحث والدراســـة ولعله يكون نواة لأبحاثٍ أخرى في الموضـــوع نفســـه، كأن يبحث في قيمة الخلاف بين نحويّ وشـــيخه، أو قيمة الخلاف بين نحويّ المدرسة الواحدة، أو قيمة الخلاف بين النحويين عامة.

والله أســـأل أن يتيح لي الأســـباب لأتمكن من البحث فيها؛ لِمَا يُحققه ذلك من فائدةٍ للمتخصصين في دراسة اللُّغة العربية خاصة، ولأبناء العربية عامة.

الخاتمة

١. للخلاف النحوي أسباب كثيرة منها طبيعة اللُّغة العربية، والاختلاف المنهجي، والتنافس بين العلماء ... وغيرها.

٢. إنَّ البحث عن أسباب الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين في تراثنا العربي إنما يمثل رصدا لجانب مهم من جوانب الفكر النحوي الذي تعاوره الفكر الإنساني عبر الزمن.

٣. بين الاســتقراء في هذه الدراســة أن الخلاف أصــبح مرجعا يمثل منهجا واضــحا في بيان مسائل النحو بصورة عامة.

٤. على الرغم من الاضطراب الذي يسببه الخلاف في المسائل النحوية، إلَّا أننا نلمح بعض الفوائد العظيمة إذا تأدب الناس بأدب الخلاف، ولعلنا نوفق إذا ذكرنا منها[٢٤]:

أ- أنه يتيح – إذا صدقت النيات – التعرُّف على جميع الاحتمالات التي يمكن أن ترد في المسألة النحوية.

ب- تؤكد الخلافات النحوية الثقة لدى دارس النحو وتعطيه التميز بين أقرانه، وتمكنه الانتقاء من كثرة الآراء وكيفية التمحيص، وأن يكون في سعة من أمره، يأخذ بأي رأي في المسألة شاء، طالما أنه رأي صحيح، وله فائدة في اللُّغة ويستند إلى أدلةٍ تدعمه.

٥. مسائل الخلاف النحوي المعروضة ليست مشكلات تحتاج إلى حلٍّ، بل أفادت الدرس النحوي في أمورٍ منها: التوسع في القواعد حيث أجازت بعض المسائل والتراكيب، وتعدد وجوه الإعراب، والتوسع في تعدد الأقوال في آي الذِّكر الحكيم مما اشتملت على القاعدة النحوية المذكورة، فهي ليست مشكلة بقدر ما هي إضافة للدرس النحوي.

والله ولي التوفيق.

هوامش البحث

١). سورة الروم، (الآية: ٢٢).

2) مجالس العلماء، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، دار الرفاعي – الرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، المجلس الثاني، (ص:٩).

3) قوله:

أَم كَيفَ يَنفَعُ مَا تُعطِي العَلُوقُ بِهِ رِئمَانِ أَنفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

ينظر: مجالس العلماء، للزجاجي، المجلس السابع عشر، (ص: ٣٥).

٤) ينظر: خطى متعثرة على طريق تجديد النحو (الأخفش- الكوفيين) ١٢-١٣.

5) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، (٨٦/٩)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م، (١٠٢/٦)، مادة (خلف).

6) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (٢/ ٢١٠ – ٢١٣)، مادة (خلف).

7) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيناني، دار المعرفة – بيروت، د. ط، ١٩٩٨م، (ص: ٢٩٤).

8) قد يصل عدد وجوه المسألة الواحدة، فيما رواه الشوكاني في كتاب «نيل الأوطار» نقلًا عن الذهبي في إحدى رواياته إلى ستين وجهًا. ينظر: مقدمة نيل الأوطار، محمد بن على الشوكاني، تقديم وتعريف: وهبة الزحيلي، اعتنى به: محمد عبد العظيم، محمد محمد تامر، دار ابن الهيثم، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٤م، (٥/١).

٩) ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاته في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية – مصر، بدون طبعة، ٢٠٠٠م، (ص: ١١١).

١٠) ينظر: ثمرة الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين٢٢..

١١) الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت، (٣/ ٨٥).

١٢) دولة الموحدين أسسها "ابن تومرت" (المتوفى: ٥٢٤ هـ) في المغرب.

١٣) ينظر: ظاهرة الإعراب، لياقوت، مرجع سابق، (ص: ١٠٨).

١٤) الرد على النحاة، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مَضَاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، أبو العباس (المتوفى: ٥٩٢هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٢م، (ص: ٩).

١٥) ظاهرة الإعراب، لياقوت، مرجع سابق، (ص: ١٠٨ – ١٠٩).

١٦) الرواية والاستشهاد في النحو العربي، محمد عبده، القاهرة، بدون طبعة، ١٩٧١م، (ص: ١٠٢).

١٧) الاستشهاد في النحو العربي، عثمان الفكي بابكر، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ١٩٦٩م، (ص: ١٨١).

١٨) الاستشهاد في النحو العربي، للفكي، المرجع السابق، (ص: ١٨١).

١٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، (١/ ٢٤٨).

٢٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٤م، (١/ ٤١١).

٢١) الخلاف النحوي، محمد خير الحلواني (ت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، دار القلم العربي، حلب، د.ط، ١٩٧٤م، (ص: ٦٩)، ذكره ابن جني في باب (في الاحتجاج بقول المخالف)، وفيه يقول: "للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس، ما لم يلوِ بنصٍّ أو ينتهك حرمة شرع". ينظر: الخصائص، عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، د.ط، ١٩٥٦م، (١٩٠/١).

٢٢) الزمخشري –سيرته–أثاره –مذهبه النحوي (ص: ٢٨٢).

٢٣) الكتاب الحيوان (ص ٣١)

٢٤) ينظر: أدب الاختلاف في الإسلام، للعلواني، مرجع سابق، (ص: ٢٥).

المصادر والمراجع

١. أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب والإسلام، بدون طبعة، ١٩٨١م.
٢. الاستشهاد في النحو العربي، عثمان الفكي بابكر، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ١٩٦٩م.
٣. الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، د. ط، د. ت.

٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٤م.
٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م.
٧. الخصائص، عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية – مصر، د. ط، ١٩٥٦م.
٨. الخلاف النحوي، محمد خير الحلواني (ت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، دار القلم العربي – حلب، د. ط، ١٩٧٤م.
٩. الرد على النحاة، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مَضَاء، ابن عمير اللخمي القرطبي، أبو العباس (المتوفى: ٥٩٢هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٢م.
١٠. الرواية والاستشهاد في النحو العربي، محمد عبده، القاهرة، د. ط، ١٩٧١م.
١١. ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاته في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية – مصر، د. ط، ٢٠٠٠م.
١٢. ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاته في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية – مصر، د. ط، ٢٠٠٠م.
١٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ٢٠١٤م.
١٤. مجالس العلماء، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، دار الرفاعي – الرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٦. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيناني، دار المعرفة – بيروت، د. ط، ١٩٩٨م.
١٧. مقدمة نيل الأوطار، محمد بن على الشوكاني، تقديم وتعريف: وهبة الزحيلي، اعتنى به: محمد عبد العظيم، محمد محمد تامر، دار ابن الهيثم، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٤م.

References

Abdah, Mohammed. (1971). *Al-Riwayatu wal Istishhad fil Nahw il-Arabii*, Cairo.

Al-Baghdadi, Abu Wafaa. (n.d.). *Al-Jadal*, Cairo:Matba'atu Misr.

Al-Hamawi, Yaqut. (1993). *Mu'jam ul-Udaba'*, Dar Al-Kutub il-Ilmiyah, Beirut, Lebanon.

Al-Hanbaly, Mohammad. (1993). *Sharh ul-Kawkab il-Munir*. Eds Mohammed Alzhily &Hamdan, Nazih., Riyadh: Obeikan Store

Al-Isfahani, Alraghib. (n.d.). *Mufradatu Alfadh il-Qur'an*, Damascus: Dar Ul-Qalam.

Al-Jumahî, Ibn Sallâm. (1980). *Tabaqatu Fuhul il-Shu'raa'*, ed. Abufahar Shakir, Jeddah: Dar Madani.

Al-Lughawi, Abul-Tayib. (1974). *Maratib ul-Nahwiyin*, ed. Abul Fadhl Ibrahim Cairo: Dar ul-Nahdha.

Al-Qazwini, Aḥmad Ibn Faris. (1979). *Mu'jamu Maqayis il-Lugha*, ed. Haroun, Mohammed. Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Qifṭi , Ali bin Yousif. (1986). *Inbah ur-Ruwati 'ala 'Anba' ul-Nuhat*. Cairo: Dar ul-Fikr il-'Arabi.

Al-Qurtubi, Ahmad bin Abdul-Rahman bin Mohammad Ibnu Maḍha' (1982). *Al-Raddu 'alal Nuhat*, ed. Shwqi Daif. Cairo: Dar ul-Ma'arif.

Al-Alwany, Taha Jabr. (1981). *Adab ul-Ikhtilaf fil Islam*, (Silsilat ul-Fikr il-Islami). Beirut: Dar ul-Gharb il Islami.

Al-Zubaidi, Murtada. (2012). *Taj ul-Arus min Jawahir il-Qamus*, eds. khalil Ibrahim & Kareem Mahmoud. Beirut: Dar ul-Kutub il-'Alamiya.

Babakir, Otham Al-Faki. (1969). *Al-Istishhad fil Nahw il Arabi*. An unpublished MA thesis, Kulliyat Dar ul-Ulum, Jami'at ul-Qahira, Cairo.

Brockelmann, Carl. (1993). *Geschichte der arabischen Litteratur*, (trans.), Abdulhaleem Al-Najaar, wa Ramadhan Abdultawab, Cairo: Al-Mu'assasat ul-Misriyatu lil-Kitab.

Daif, Shawqi. (1968). *Al-Madaris ul-Nahwia*, Cairo: Dar Alma'arif.

Hassan, Abaas. (1966). *Al-Lughatu wal Nahw bayn al-Qadimi wal Hadith*, Cairo: Dar Alma'arif.

Tanṯawi, Mohammad. ([1973] 1995). *Nash'at ul-Nahwi wa Tarikhu Ashhuri il-Nahat*. Cairo: Dar ul-Ma'arif.

Yaqut, Ahmed. (2000). *Dhahirat ul-I'irabi fil Nahw il-Arabi wa Tatbiquha fil Qur'an il-Karim*. Alexandria: Dar ul-Ma'rifat il-Jami'a.